



هناك بلا شك أخطاء سياسية للإسلاميين تذوب في بحر التضحيات والجهود المضنية لخدمة بلدتهم وأمتهم، ولا يمكن مقارنتها بالجرائم الإنسانية للانقلابيين التي أدت إلى مجازر ومحارق ومجارف واعتقالات وانتهاكات تمثل عاراً وشناراً بوجه الانقلابيين، فنحتاج بين زخم القيل والقال، وزحام الافتراءات، وتلطيخ الوجوه الحسنة، وتلميع الوجوه القبيحة، إلى التعرف على الفرق بين الاجتهادات السياسية والجرائم الجنائية.

إذا جئنا إلى ما يسمى بالأخطاء السياسية فلم يمنع نزول الوحي من وقوع بعض هذه الأخطاء في عهد النبوة، وإذا كان الجميع الآن - وهذا حقهم - يحلل الأسباب والعلل التي أدت بالمشهد السياسي إلى هذا المستنقع في وجه اللوم سخياً للإسلاميين، لأنهم السبب في وصولنا إلى ما نحن فيه، فهذا يجب أن يكون مقبولاً بشرط ألا نجلد أنفسنا، ولا نزيد من ثخونة دمائهم التي تنزف بالليل والنهر والمطاردات والاعتقالات والتعذيب، وأعداد الشهداء قتلاً وخفقاً وحرقاً، ونهب أموالهم وحرق مقراتهم وشركائهم، وتدمير بيوتهم.

فليس من اللائق أخلاقياً الحدة في لومهم، واللرج في تأييدهم فقد حدث اجتهاد مع وجود النص القطعي دلالة وثبتوا في غزوة أحد حيث قال - صلى الله عليه وسلم - للرمادة: (احموا ظهورنا، فإن رأيتمونا نقتل فلا تنتصرون، وإن رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا).

وفي رواية البخاري أنه قال: (إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم هذا حتى أرسل إليكم، وإن رأيتمونا هزمنا القوم ووطأناهم فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم)، ومع هذا خالف أربعون من خمسين ونزلوا يجمعون الغنائم بعد أن بدأ أمرات النصر وفر المشركون، وكان من أثر هذا الفعل أن التف خالد بن الوليد من هذه الثغرة، وقتل بقية الرماة العشرة بقيادة عبد الله بن جبير بن النعمان الأنباري الأوسي البدرى، واستادروا فقتلوا سبعين وجرحوا سبعين منهم النبي - صلى الله عليه وسلم -، ومع هذا نزلت كلمات الله برباً وسلم على الجميع كما قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّוْا مِنْكُمْ يَوْمَ التَّقْيَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَرْزَهُمُ الشَّيْطَانُ بِيَعْسُنِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ) (آل عمران: 155).

انظروا معي إلى رد الفعل الرباني أمام هذه المخالفة الرهيبة للنص، فقد نزلت الآيات بسلاماً، وفيها نسبة المخالفة للشيطان الذي استزلهم، وقدم الله لهم العفو كرماً منه سبحانه، وختمت بالغفرة والحلم، فأين نحن اليوم من هذا المنهج؟!.

لوجمعنا كل ما يقال عن تقصير الإسلاميين عامة والإخوان خاصة فهي كلها لا تعدو الأخطاء السياسية، سواء قبل الحوار

مع عمر سليمان، أوقبوا إدراة مؤقتة للمجلس العسكري مقابل فض الاعتصامات في التحرير والميادين، أو التردد في الترشح للرئاسة بين الرفض ثم القبول وتقديم م. خيرت ثم د. مرسي، أو عدم قدرة الإسلاميين أن ينزلوا بمرشح واحد حتى لا تتبدل الأصوات، أو الإعلان الدستوري الذي حصن الشورى ولجنة الدستور وقرارات الرئيس لأيام، أو قصبة الدستور وبعض مواده التي لم يتواافق عليها الجميع، أو عدم مصارحة الشعب أولاً بأول بمعاناة الرئيس من الأجهزة الأساسية إعلاماً وجيشاً وشرطة وقضاء، والسعى لإفشال أي برنامج إصلاحي، أو عدم الاستيعاب الكافي لطاقات الشباب والأخوات، أو الثقة في السياسي والثناء عليه لغاية يوم 26/6/2013م، و....

أقول مع أنّ عندي في كل نقطة كلاماً طويلاً عريضاً في رد الكثير منه، لكنني سأعتبرها كلها حزمة من الأخطاء السياسية، ولو ما شينا - حواراً فقط - من يقول لا توجد إنجازات في فترة الرئيس مما حدا بي أن أكتب في أبريل 2013م "مفاراتق بين إنجازات الرئيس وتطلعات الناس"^[1] فإني سأسلم - جدلاً - أنها أخطاء فتعلوا إلى منهج التقييم الإسلامي العادل وفقاً للروايات التالية:

1. ألم يجتهد النبي - صلى الله عليه وسلم - مع أصحابه في أسارى بدر؟

ونزل القرآن معاتباً لكن اعتبر هذا تركاً للأولى وأباح الله تعالى الأكل من عائد الفداء كما قال تعالى: (فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالاً طَيِّباً وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) (الأనفال:69)، ولو كان جنائية لوجب قتل الأساري، ورد المال، وعدم جواز استعماله فضلاً عن أكله، خاصةً أن التهديد فيها كان شديداً - لأنّه بعد عز وانتصار -

والمشهد يرويه الإمام القرطبي في تفسير قوله تعالى: (مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُتْخَنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَيَقَ لَمَسَكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) (الأنفال:67-68).

فيقول القرطبي هذه الآية نزلت يوم بدر، عتاباً من الله عز وجل لأصحاب نبيه - صلى الله عليه وسلم - والمعنى: ما كان ينبغي لكم أن تفعلوا هذا الفعل الذي أوجب أن يكون للنبي صلى الله عليه وسلم أسري قبل الإثمان، - وهو قتل المشركين المحاربين -.

ووجه لهم هذا الإخبار بقوله: (تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا)، والنبي - صلى الله عليه وسلم - لم يأمر باستبقاء الرجال وقت الحرب، ولا أراد قط عرض الدنيا، وإنما فعله جمهور مباشرى الحرب، فالتوبيخ والعتاب إنما كان متوجهاً بسبب من أشار على النبي - صلى الله عليه وسلم - بأخذ الفدية، هذا قول أكثر المفسرين، وهو الذي لا يصح غيره.

2. ألم يأمن النبي - صلى الله عليه وسلم - في التعامل مع اليهود وهو الموحى إليه وأحسن إليهم، وعاهدهم؟!

ومع ذلك ظل يعاملهم - كأهل بلد لا محظيين - وهموا خمس مرات بقتله منها ما يرويه البخاري ومسلم بسندهما عن أنس أن امرأة يهودية وهي زينب بنت الحارث، امرأة سلام بن مشكم أحد زعماء اليهود أتت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بشارة مسمومة فأكل منها فجيء بها إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فسألها عن ذلك فقالت: أردت لأقتلنك، قال: ما كان الله ليُسلِّطَ عَلَيَّ قَالُوا: أَلَا نَقْتُلُهَا؟ قال: لا، قال: فما زلتُ أَعْرِفُهَا فِي لَهُواتِ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - " فلما مات بشر بن البراء بن معروف متاثراً بهذا الطعام، قتلتها قصاصاً.

وروى البخاري في صحيحه معلقاً والحاكم في مستدركه موصولاً عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول في مرضه الذي مات فيه يا عائشة ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلتُ بخيり، فهذا أوان وجدتُ انقطاعاً أبهري من ذلك السم، وهو يعني أن النبي صلى الله عليه وسلم وهو الموحى إليه خُدُع من اليهودية، ومات بشر بن معروف من أكلته، وعاش النبي صلى الله عليه وسلم معلولاً من القليل الذي لا يكفيه قبل مجده لما جاءه الوحي، فلم اللوم كالسياط على ظهور الإسلاميين والإخوان عامه والدكتور مرسي خاصة في ثقته بالمجلس العسكري والسيسي؟ وهم مسلمون

مع كل جنایاتهم وليسوا يهودا، ونحن نقرأ الآية صريحة أن هذا الخداع وارد حتى مع النبي - صلى الله عليه وسلم -، ويبدو هذا في قوله تعالى: (فَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدُعُوكَ فَإِنَّ حَسِبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ) (الأنفال: 62)، وقال تعالى: (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ) (النساء: من الآية 142) وقال عنهم: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ * يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدُعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ) (البقرة: 8-9).

3. ألم تكن هناك معاهدة سلام عشر سنوات في الحديبية فلما حضرت قريش حلفاءها من بني بكر على قتل مسلمين من بني خزاعة **وهم سجود**: فجاء عمرو بن سالم الخزاعي شاكيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فغير ما اتفق عليه نتيجة غدرهم، وجهز عشرة آلاف ودخل مكة فاتحا؟!

فما الغرابة أن يعدل الإخوان عن عدم الترشح للرئاسة عندما غدر المجلس العسكري، وأراد أن يقدم مرشحا عسكريا للرئاسة ليستمر في الحكم بدلا من الفترة الانتقالية، وإلا حلانا مجلس الشعب، وزار المندوب السامي للمجلس العسكري دائمًا مصطفى بكري الأستاذ المرشد متين يطلب عدم ترشيح أحد في وجه المرشح العسكري للرئاسة فلما رفضوا حلوا المجلس، ودار الإخوان على الكثير من الكرام من غير الإخوان للرئاسة فأبوا فلم يكن إلا كما قال الإمام مالك: "يُستحدث الناس من الأقضية على قدر ما يستحدثون من المفاسد"، أو كما قال الشاعر الكميت بن زيد الأسي:

إذا لم تكن إلا الأسنة مركبا * فما حيلة المضطرب إلا ركبها**

وماذا جنى الإخوان من السلطة سوى التشويه والتلطيخ والجهد والتعب، والله لقد كان د.مرسي لا ينام من الليل إلا قليلا وجهده في هذا العام يزيد عن جهود مبارك المريضة في الوزن الكمي لا النوعي عشر سنوات كاملة.

4. يقول بعض الفقهاء: "إذا بلغ الماء قلتين لم يحمل الخبث"، فماذا فعل الإخوان من جرائم حتى يقتلوا ويختنقوا ويحرقوا ويجرروا ويطاردوا، ويعتقلوا ويسيطروا ويفحصوا محاكمات عسكرية؟ وهم المعتمدي عليهم! ألم يعرفهم القاصي والداني أنهم أذل الناس لربهم، وأكرمهم لجارهم وأرحامهم وأبناء بلدتهم، وأشدُّهم على عدو الله وعدوهم، وأرقى الناس خلقا، وأرقلهم طبعاً، وأوسطهم فهماً، وأوسعهم حرقة، وأكثرهم تضحية، وأسرعهم نجدة، وأجودهم بذلك، وأوفاهم وعداً، وأضبطهم إدارة، وأصلبهم عفة عن المال والسلطة، ولا نزكيهم على الله، وإن كان لا يخلو بعضهم - كحالات لا ظاهرة - من هفوات بل جرائم يحاسبون عليها، ولم يخل مجتمع الصحابة الذين تربوا في حضن النبوة الطاهرة من منافقين، وبعضهم ارتكب ما وصل لحد الجرائم مثل حادثة الرماة في أحد، وحارط بن أبي بلتعة في فتح مكة، والخلاف عن القتال في تبوك و.... وعولجت كل حالة بقدرها، وكان النظر لمجموع الحسنات مع بعض السيئات، ولم يقل واحد ذو فهم أو شأن في الإخوان: إنهم وحدهم هم المسلمون أو أصحاب المكارم بل المجتمع مليء بالأختيار الأبرار خيراً من بعض أعضاء الإخوان، وعند الله يكون الحساب فنحن "دعاة لا قضاة" كما عُنون المرشد العام الثاني الأستاذ حسن الهضيبي في كتابه رغم التعذيب، لكنه لله ثم لمصر كتب يواجه خطورة التكفير، ولم يعهد التاريخ أن جماعة بحجم الإخوان قد ابْتُلوا مثلهم، فلما تمكّنا لم يتأثروا من قتل ونهب وسجن منهم الكثير، بل عفوا من أجل بلدتهم ، وأخرجوا من الحكم فخطف رئيس الدولة منهم، وقتل منهم من قُتل وحرق من حرق، وجُرف من جُرف، واعتُقل من اعتُقل، ولا تبيت كل نسائهم إلا محجبات في قعر بيوتهم توقعوا لغدرات الانقلابيين، ومع ذلك يقولون بالسلمية، ويضغطون على الشباب التائز بل الساخر من السلمية في مواجهة غدرات الانقلابيين، خوفا على مصرهم، وأملأوا في ربهم أن ينصرهم على الغاررين المنافقين من قومهم.

ولو جمعنا كل الأخطاء السياسية للإخوان ومن معهم فهل تساوي كلها مثقال ذرة في جرائم الانقلابيين؟! ومنها:

1. لم يقتل الجيش المصري عبر تاريخه منذ ثورة 23 يوليو 1952 م من الصهاينة المحتلين خلال 61 عاماً نصف من قتلهم من المصريين عمداً وخشة ونذالة في 60 يوماً.

2. لم نر بشاعة الصهاينة في فلسطين عامة أو غزة خاصة مثلاً فعل الجيش والشرطة في المصريين قتلاً وخفقاً وحرقاً ثم تجريفاً لإخفاء آثار الجريمة، التي لن تخفيها كل أدواتهم لأن الله تعالى يقول: (وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ) (البقرة: من الآية 72)، وقال تعالى: (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ) (محمد: 29).

3. حرب الإبادة في سيناء وقتل 8 نساء وأطفال وحرق 200 منزل وقتل أبرياء - حتى الآن - فوق الخمسين ظلماً وعدواناً من أبناء سيناء بالتنسيق الكامل مع الصهاينة، وهي من جرائم الخيانة الكبرى.

4. أن يدخل الطيران الصهيوني مرات منها 1434/10/2 هـ الموافق 2013/8/17 م فيقتل خمسة من أبناء سيناء بتنسيق كامل مع السيسى وجهاز المخابرات فتلکم جنایة تستحق الإعدام لكل من شارك فيها.

5. أن تاصر 70 مدرعة عسكرية وعدد من الطائرات وآلاف الجنود قرية دلجا بالمنيا لأن ضابطاً من الشرطة لطم مواطننا من القرية فرد له المواطن الصعيدي الأبي اللطمة، فجاء الضابط بجنوده وبلطجيته لضرب هذا المواطن فغضبت عائلته فردوهم فحرق الباطجية الكنيسة وأتوا كي يلصقوا التهمة بأهل القرية رغم اعتراف القسيس أن الكنيسة قد أحرقت من بطجية الداخلية لا المسلمين ولا الإسلاميين، ثم تزيف وقلب الحقائق، وتحت مسمى "حرب الإرهاب" تقوم الدولة بما يزيد عن حالات الاحتلال فهذا من الجرائم المرتكبة.

6. أن يقوم ضابط في الكمرين رقم 3 على الطريق الدائري في القاهرة، بإنزال صاحب السيارة إلى سيارة الشرطة، ويأخذ الفتاة الموظفة معه، في سيارة مديرها إلى طريق مقطوع بالعين السخنة فيهتك عرضها تحت تهديد السلاح، ثم تشتكى الفتاة وتقوم النيابة بطلب تحديد الضباط والعرض فترسل الداخلية ضباطاً آخرين ليحموا الضابط الخسيس المجرم، فهذا من جهد البلاء وقمة الخسارة، وتعجز الكلمات عن وصف خسارة الانقلابيين في التعامل مع أبسط قواعد الرجولة، لا الأديان أو العروبة، بل الإنسانية.

7. أن يقوم الجيش والشرطة باعتقال 300 فتاة وي تعرضن للتحرش، حتى كتب الصحفي الألماني "سباستيان باكوس" فضائح رأها رأى العين وهي جزء من مقالٍ بعنوان: "مفاوضات بين سماحة المعتصمين وسفاهة الانقلابيين" [2]، ثم يلخص بالفتيات تحت العشرين حيازة واستعمال "الأربيجية" في وجه الجيش والشرطة، واعتقال كفيف وتلصق به التهمة ذاتها، ويعتقل بعض نوي الاحتياجات الخاصة لأنه خرج في مظاهرة سلمية، وهذه جرائم رديئة دينية الشكل والمضمون.

8. لن نتحدث عن القضاء المُسيِّس ومهرجان البراءة لجميع المجرمين في حق شهداء ثورة 25 يناير وأولئك المخلوع وضباط السويس، ولن نتحدث عن حجم السلب لمئات المليارات، أو لجنة "الأشقياء" الذين وجهت لهم رجائي: "لاتقربوا الدستور وأنتم سكارى"

والاليوم يقول د.السلماوي مقرر لجنة "المبادئ": لا يجوز للدستور أن يعترف بأي دين، ويقول غيره يجب حذف انتماء مصر للأمة الإسلامية!!!

ولن أتحدث عن التقسيم العمد لبني المجتمع: "إحنا شعب وأنتو شعب، ليكو رب ولينا رب"، ولن أتحدث عن الجثث المحترقة المتفحمة منذ شهر ولم يستدل حتى بالDNA على أصحابها، ولا يزال فوق الألف من المفقودين داخ أهلهم ليعرفوا هل أبناؤهم ضمن من حرقوا وجروا في قمامنة قوات الجيش والشرطة أم في المشارح، أم سلخانات التعذيب!!!

ولن نتحدث عن إغلاق كل القنوات التي لا تسبّح بحمد الطغاة أو الشهوات، ومحاكمة الصحفيين عسكريا حتى لو كان "أبو دراع" واحد فلا بد من كسر دماغه، مش ذراعه!!!

آه تعبت ومرضت من ذكر بعض الجرائم الكبرى للانقلابيين، فما بال أصحابها؟: (أَلَا يَظْنُنُ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ)
(المطففين:4-5)، (أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ) (آل عمران: من الآية 178).

إن جرائم الانقلابيين في يوم واحد لو وزنت بميزان العدل فلن تساوي معشار كل الأخطاء السياسية وغيرها من الإخوان والإسلاميين خلال ثمانين عاما، ولكنكم قوم لا تعدلون، وقل الإنصاف في الناس، وعند الله تجتمع الخصوم، ويقول الشاعر بديع الزمان الهمذاني:

ستعلم حين ينجلِي الغبار *** أفرسٌ تحتَكَ أم حمار
والعبرة بمن يضحك ليس آخرًا بل في الآخرة.

رابطة العلماء السوريين

المصادر: